المدنيّة الرّوحانيّة

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية

المدنيّة الرّوحانيّة

في يوم الثّلاثاء الموافق 31 تشرين الأوّل 1911

ألقيت هذه الخطبة في المنزل المبارك في باريس

هو الله

في الجوّ الجميل ينتعش جسم الإنسان، وتتجدّد حياته، ويسرّ قلبه وتزداد إحساساته البدنيّة، فيشفى إن كان مريضًا، وينشط وينشرح إذا كان عليلاً. فإذا كان خامدًا اهتزّ وبدت عليه علائم السّرور. وهذه سعادة الإنسان الجسمانيّة الّتي تنمو من لطف الهواء وعذوبة الماء وحلاوة الغذاء. وكذلك إذا توفرت للإنسان ثروة أو عزّة أو تجارة أو كسب أو صنعة تمّت سعادته الجسمانيّة واكتملت.

وإنّكم لتلاحظون أنّ الحياة الطّيبة ووسائل السّعادة الجسمانيّة وأسبابها متوفّرة على أحسن الوجوه للأمم المادّيّة. فالأطعمة اللّذيذة متوفّرة لها، والمنازل منسّقة والتّجارة متّسعة، والصّنائع في نهاية الإتقان، والأصول السّياسيّة في غاية الاعتدال فيها. وهذه الأمور جميعها كفيلة بتوفير السّعادة الجسمانيّة لعالم الإنسان. إلاّ أنّه لا صلة لها بالرّوح. ومن الممكن أن يكون الإنسان –من حيث الجسمانيّات- في نهاية الرّقيّ، وأن تكون جميع النّعم البدنيّة مهيّأة له بحيث تتمّ له سعادة المعيشة النّاسوتية وأن يكون مع ذلك محرومًا تمامًا من الحياة الرّوحانيّة، ولا نصيب له من المدنيّة السّماويّة، ولا من الفضائل، فيبقى بعيدًا كلّ البعد عن نورانيّة الملكوت.

ولذلك فكما نسعى ونجتهد لتحقيق المدنيّة الجسمانيّة ونجاهد في سبيل تحصيل الفوائد المادّيّة، وتوفير أسباب الرّاحة والاطمئنان النّاسوتيّ كذلك يجب علينا أن نولي الحياة الرّوحانيّة أهميّة أعظم، ونلتمس السّعادة

الأبديّة بهمّة أكبر، ونطلب النّورانيّة السّماويّة والسّنوحات الرّحمانيّة بجدّ أكثر، ويزداد إقبالنا على ترقيّات العالم الإلهيّ حتّى تكمل حياتنا الرّوحانيّة كما كملت حياتنا الجسمانيّة وتتمّ لنا السّعادة الملكوتيّة.

إنّ السّعادة الّتي أرادها السّيّد المسيح لأهل العالم هي النّورانيّة الّتي أعطاها للحواريّين وتمّت لهم منها التّرقّيات الحقيقيّة. لهذا أسّس حضرة بهاء الله في هذا العالم الفاني ملكوتًا وأضاء شمعًا سماويًّا وفتح أبواب الملكوت فسطعت شمس الحقيقة كي تتأسّس المدنيّة الرّوحانيّة، وتشرق النّورانيّة السّماويّة، وتتمّ الحياة الأبديّة وتهبّ نفثات الرّوح القدس في القلوب. فيصبح الإنسان عظيمًا من النّاحيتين المادّيّة والرّوحية ويحقّق الحضارتين المادّيّة والرّوحية معًا. ذلك أنّه عندما تترقّى روح الإنسان وجسمه معًا تتوفّر السّعادة للعالم الإنسانيّ، ولا يتحقّق هذا الهدف بالمدنيّة المادّيّة وحدها.

ولذلك تلاحظون أنّه بالرّغم من أنّ عالم المدنيّة المادّيّة بلغ كمال الرّقيّ في هذا العصر إلاّ أنّه يشهد الكثير من القتال والجدال والحرب والنّزاع وسفك الدّماء وهدم البنيان الإنسانيّ.

وفي الأزمنة السّابقة الّتي نطلق عليها اسم عصور التّوحش كانت الحرب تقع ولكنّها كانت لا تكاد تقضي على حياة ألف شخص في خلال سنة كاملة. أمّا اليوم فإنّ حرب الرّوس واليابان قضت على حياة خمسمائة ألف شخص في غضون ستّة أشهر. فقد اخترعت آلات فتّاكة لم تكن موجودة من قبل، فمدافع كروب مثلاً لم تكن موجودة من قبل، وكذلك الدّيناميت والغوّاصات وهذه جميعًا من نتائج المدنيّة الحاليّة.

ثبت إذن أنّ ازدهار المدنيّة المادّيّة لا يجلب إلى العالم السّعادة الصّحيحة فإذا ما تحقّقت المدنيّة الرّوحانيّة بجانب المدنيّة الجسمانيّة تمّ الوصول إلى السّعادة الحقيقيّة. فكما أنّ أسباب الرّقيّ المادّيّ توفّر راحة الأجسام كذلك يتحقّق رقيّ عالم الأخلاق بالنّورانيّة السّماويّة، وتتحقّق فضائل العالم الإنسانيّ بفيض نفثات الرّوح القدس.

إنّ الشّفاء الأبديّ لعالم الوجود هو الوحي السّماويّ. والرّقيّ الحقيقيّ منوط بالفيض الإلهيّ. ولذلك فإنّني أريد لكم أن تهبط عليكم تلك الفيوضات، وألتمس لكم نفثات الرّوح القدس، وأطلب لكم السّعادة الّتي طلبها السّيّد المسيح للحواريّين، كي تبلغوا درجة الكمال في جميع المراتب المادّيّة والرّوحانيّة، وكي يتحقّق لكم التّرقّي في هاتين النّاحيتين فيصبح ظاهركم وباطنكم معمورين وتستظلّ أرواحكم وأجسامكم جميعًا بظلّ رحمة الرّحمن وتنجذب قلوبكم وتستبشر أرواحكم، وتفوزوا باللّسان النّاطق والعين المبصرة والأذن السّامعة، وتظفروا بالقوّة المعنويّة وبالتّأييد الملكوتيّ. هذه نصيحتي إليكم -فمرحبًا بكم.